أبو بكر القاضي

إبراهيم عليه السلام وكلمات الابتلاء

د. أبوبكر القاضي

المجلس الخامس عشر:

إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

abobakrelkady AboBakr Elkady
www.abobakrelkady.net KonnashatElkady

قال تبارك وتعالى عن إبراهيم -عليه السلام- وهو يناظر قومه:

{فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ * فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً}.

- وهذه الشمس رمز وإله عند كثير من الحضارات البائدة: كالفرعونية وغيرها؛ لأنها رمز القوة ورمز العطاء، ورمز التوهج والاشتعال والإحراق، وغير ذلك.

{قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ} [الأنعام:٧٦-٧٨]

كان أصل هذه الحجة: أن الإله لا يغيب، أن الإله لا يأفل، أن الإله لا يغيب عن معبوديه، أن الإله لا يغيب عن عباده، فهم يحتاجونه بعدد أنفاسهم ونبضات قلوبهم، فكيف يغيب عنهم!

عجيب! أن هذا ليس فقط في عبادة الأصنام والأوثان؛ بل حتى في من ينتسب إلى الأديان السماوية ممن حرفوا وبدلوا: كاليهود والنصارى الذين يقولون عن الإله: إنه يموت، الذين يقولون عن الإله: إن له صاحبة وولد، الذين يقولون عن الإله: إنه يندم ويبكي، وإنه فقير، وإن يديه مغلولتان، وغير ذلك .

- كل هذه أوصاف لا تليق بالإله الحق، بل إنما هو إلههم الذي يعبدون.

أما الرب عز وجل -إلهنا الحق:

- {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌۖوَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١].
- {وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِۚوَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الروم:٢٧]

هو السميع، هو البصير، هو القدير تبارك وتعالى، هو الحي القيوم تبارك وتعالى.

كيف يغيب الرب -عز وجل- ويموت ثلاثة أيام ثم يقوم بين الأموات، والكون منتظم يسير، والفلك يسير، والكواكب تسير، والنيازك، والشهوب، والكون، والعوالم العلوية والسفلية، والغيب والشهادة؟!

ما صنعة الله إذًا؟!

فالله -تبارك وتعالى- يقيم أمر السماوات والأرض:

- {أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} [الرعد:٢٧].

- "اللَّهُمَّ لكَ الحَمْدُ أنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ، ولَكَ الحمدُ أنتَ قيُّومُ السَّمواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ، ولَكَ الحَمْدُ أنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ ومن فيهن" [صحيح البخاري] كما قال ﷺ.
- وفي رواية: " أنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ ومَن فِيهِنَّ".
- وفي رواية: " أنت قَيَّامُ السَّمَواتِ والأَرضِ ومَن فيهنَّ" [أخرجه مسلم].

❖فهو قائم بأمر نفسه، مقيم لأمر الخليقة.

أين تذهب أنت؟ ومن يدبر لك أمرك؟!

- "يا حيُّ يا قيُّومُ برحمتِك أستغيثُ وأصلحْ لي شأني كلَّهُ ولا تَكِلْنِي إلى نفسي طرفةَ عينٍ أبدًا" [السلسلة الصحيحة] أو أقل من ذلك.

إبراهيم -عليه السلام- يقيم الحجة على قومه: أن الإله ينبغي أن يكون قيامًا، قيومًا، قيِّمًا، حيًا، سميعًا، بصيرًا، قريبًا، مجيبًا، لا يغيب، لا يأفل، لا ينام، لا يموت، لا يغفل تبارك وتعالى.

- {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١].

فتبرأ من كل معبوداتهم ومن كل آلهتهم الباطلة.

- {إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ} أي: وُجْهَتي وقصدي {لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [الأنعام:٧٩].

أي: لا أتبعهم، ولا أنا منهم، ولا أتبع طريقتهم، فأنا وجهت وجهي وقصدي وقلبي للذي فطر السماوات والأرض: أي خلقهما على غير مثال سابق.

الذي خلقهم والذي يقيمهم والذي يدبر أمرهم كيف يغيب عنهم؟!

هو الخالق -عز وجل، هو البارئ، هو المصور -تبارك وتعالى، هو بديع السماوات والأرض، هو قيوم السماوات والأرض، هو قيم السماوات والأرض.

حنيفًا: أي مائلًا إلى الله، معرضًا عن غيره، وما أنا من المشركين.

لذلك قضية الولاء والبراء: قضية الموالاة لله عز وجل ولعباده المؤمنين، والبراء من الكفر والكافرين، هذا صلب دين إبراهيم -عليه السلام.

- الحنيفية: الميل إلى الله، والإعراض عن غيره .

ولذلك هؤلاء الذين ينتسبون إلى إبراهيم -باطلًا- ويقولون: الدين الإبراهيمي الجديد، بالجمع بين المعبد والكنيسة والمسجد، الجمع بين اليهودية والنصرانية والإسلام -مزيج من ذلك، كل هؤلاء يقولون ويدعون أنهم ينتسبون لإبراهيم -عليه السلام- وليس الأمر كذلك:

- {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [آل عمران:٦٧]

فهو متبرئ من الشرك، متبرئ من المشركين، متبرئ من التثليث، متبرئ من وصف الله بما لا يليق، متبرئ من وصف الله -تبارك وتعالى- بالموت أو الأفول أو غير ذلك من صفاتهم الباطلة التي يصفون بها آلهتهم الباطلة، هو متبرئ من كل ذلك، هو لا يعبد ما يعبدون.

- {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}

[الكافرون:١-٦]

دين إبراهيم قائم على التوحيد ونبذ الشرك، دين إبراهيم قائم على الموالاة لله والمعاداة لله، الحب في الله والبغض في الله، الولاء لله والبراء من الكفر والكافرين.

- {وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ} [الأنعام:٧٩-٨٠] حاولوا أنهم يحاجوه، حاولوا أنهم يتكلموا بالباطل وهو يقابلهم بالحجة الحق.
- {قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ} [الأنعام:٨٠] كيف ذلك؟

استعلِ بحجتك، استعلِ بإيمانك: {وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [آل عمران:١٣٩].

نحن في زمن الهزيمة النفسية، وفي زمن الخجل الذي قد أصاب كثيرًا من دعاة الحق، وقد أصاب كثيرًا من الدعاة إلى الله -تبارك وتعالى.

فيكون خائف أن يتكلم عن النسوية، خائف أن يتكلم عن الديموقراطية، خائف أن يتكلم عن العلمانية، خائف أن يتكلم عن الليبرالية.

يحاول أن يؤدلج (من الأيدولوجية)، يحاول أن يميع الأمور فيقول: هنالك اشتراكية إسلامية، لا بل إنما توجد رأسمالية إسلامية، هلا نستكين للنسوية قليلًا أو نحاول أن نحتويها؟

- ولكن لا احتواء لهذه الأمور، فهذه مفاصلة بين الحق والباطل، بين الظلمات والنور، بين الإيمان والكفر، بين الانصياع لله ورسوله، وبين الانصياع للشيطان.

❖كن على قدر هذه المسئولية مبلغًا عن الله ورسالاته.

{قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا * إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ} [الجن:٢٢-٢٣]

قد هداك الله، فكن شاكرًا لهذه النعمة، أقم الحق واصدع بالحق.

- {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} [الحجر:٩٤]

أنا لا أقول لك أن تطلب البلاء أو تتعرض للبلاء، ولكن قل الحق وأجرك على الله تبارك وتعالى، لا تبدل ولا تحرف.

فإن لم تستطع ذلك -وإن أكرهت على غير ذلك- فاقعد في بيتك ولا تتصدر، لا تخرج إلى الفضائيات، لا تخرج على مواقع التواصل الاجتماعي وتحرف وتبدل وتقول: أنا مضطر، أنا مكره.

أين الإكراه و الاضطرار وأنت تخرج أمام الشاشات وتبدل وتغير، وتغير الفتاوى على وفق ما تهواه السلطات أو السياسات؟!

القضية كلها أن تقول الحق ولو كان مرًا، أن تصدع به ولو كان مرًا .

- {أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۚ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا} [الأنعام:٨٠]

لا أخاف إلا ربي عز وجل، لا أخاف إلا أن يغضب علي ربي عز وجل.

❖ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي.

- {وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ} [الأنعام:٨٠-٨١]

كانوا يعبدون هذه الآلهة مع الله -وهذا ترجيح كثير من أهل العلم-، أن هؤلاء كانوا يعرفون الله عز وجل، ولكن كانوا يشركون معه آلهة أخرى.

- {وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۚ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} [الأنعام:٨١]

هذا السؤال الاستنكاري: من الأحق بالأمْن، المؤمن أم الكافر؟ الطائع أم العاصي؟ المنقاد لشرع الله أم الفاسق؟

- {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ * إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ} [فاطر:١٩-٢٣]

- {فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف:٦٤].

"يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظْكَ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سأَلتَ فاسأَلِ اللَّهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ، ولو اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ".

[صحيح الترمذي]

توجه إلى الله عز وجل ولا تخاف غير خالقك -تبارك وتعالى.

كما قال الإمام أحمد: "إن صححت؛ لم تخف غير الله".

إن صح قلبك: إن كان قلبك سليمًا، إن كان قلبك موحدًا، إن كان قلبك مفردًا؛ تتوجه إلى الله عز وجل، ولا تخاف غيره.

- {فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} [الأنعام:٨١]

الأمن النفسي، الأمن في الدنيا، الأمن في الآخرة، من أحق بالأمن؟

- {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ} [الأنعام:٨٢]

هذه الآية تحتاج وقفة خاصة، نكلها -بإذن الله عز وجل- للحلقة القادمة.

<<أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم>>